

نظريات نقدية

تعريف الثقافة بحسب ت. س. إليوت

يضمّ «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» (التنوير - ترجمة شكري عياد) مقاربات أولية حول الثقافة وتحديد علاقتها بالدين والسياسة والصفوة. في مؤلفه الصادر بالإنكليزية في الأربعينيات، والمعزّب للمرة الأولى في الستينيات، يمنحنا الشاعر والناقد الأمريكي - البريطاني بعض الإضاءات المعرفية، فيما لا يبدو مكثرناً بتقديم تعريف واضح ومحدد للثقافة

ريتا فريج

في «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» (التنوير - ترجمة شكري عياد) قدم توماس ستيرنز إليوت (1888_1965) مقاربات أولية حول تعريف الثقافة وتحديد علاقتها بالدين والسياسة والصفوة. الكتاب الذي صدر في الإنكليزية عام 1948 تحت عنوان Notes Towards the Definition of Culture، نقل إلى العربية في طبعته الأولى عام 1961 للمترجم نفسه.

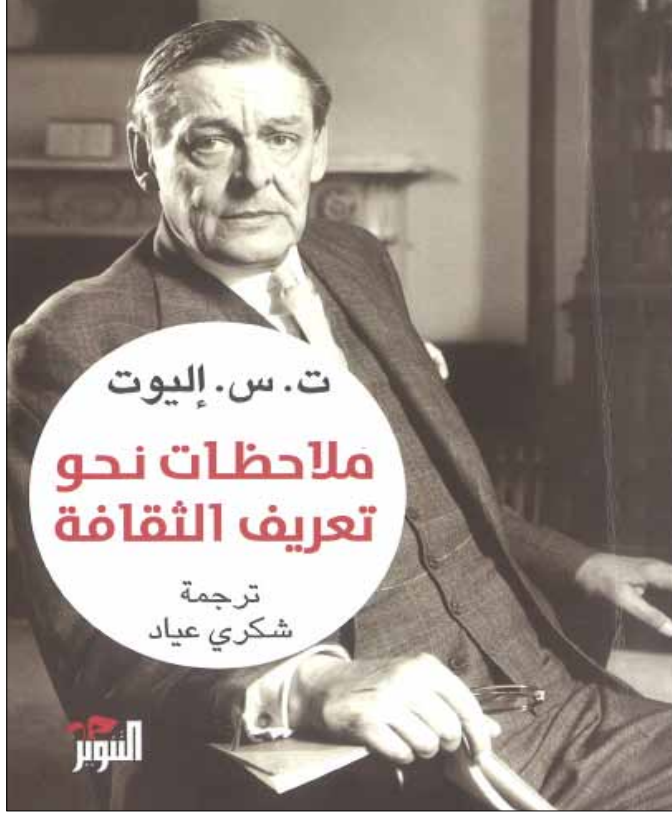
لا يقدم صاحب «أرض اليباب» تعريفات واضحة حول الثقافة. وعلى أهمية بعض الإضاءات المعرفية، يفقد «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» إلى مسار علمي يأخذ بالاعتبار مجمل المعطيات والإشكاليات التي تطرحها الثقافة كجزء أساسي من نهوض المجتمعات وتقدمها الحضاري. ينطلق من سؤال رئيسي: هل هناك شروط ثابتة إذا تخلفت فليس لنا أن نتوقع قيام ثقافة راقية؟

لا يعدنا الكاتب، كما يوضح المترجم والناقد المصري شكري عياد (1921_1999) بنظرية عن الثقافة، ولا حتى بمجرد تعريف لها، بل هي ملاحظات نحو تعريف الثقافة. يتجنب استخدام تعبير مثل «العوامل الثقافية» أو «القوى الثقافية» في

صدد الحديث عن قيام ثقافة راقية، مفضلاً تعبير «الشروط الثابتة» على هذين التعبيرين. يرى إليوت الحائز جائزة «نوبل للأدب» (1948) أن الدين والتقسيم الطبقي للمجتمع من أهم مكونات الثقافة، على ألا يكون ذلك مرسوماً أو مفروضاً من سلطة مطلقة، بل على قاعدة الاعتراف بأن هذه المكونات طبيعية. تبدو ثنائية الثقافة والدين أكثر حضوراً عنده؛ وقد حظيت خلاصاته في هذا الشأن باهتمام الدوائر الأكاديمية الأوروبية آنذاك، حيث رسخت العلاقة بين الدين والثقافة انطلاقاً من الأبعاد القيمة والأخلاقية التي نهضت عليها المسيحية في أوروبا.

يحاول صاحب «جريمة في كاتدرائية» التثبت من العلاقة بين الطبقة والصفوة والثقافة، معتبراً أن الطبقة التي يتوارث أهلها الثروة والنفوذ ضرورية لازدهار الثقافة. تستند وجهة نظره إلى ثلاث ركائز: تميز الوظائف في المجتمع، بحيث تخصص كل فئة بوظيفة معينة سمة تصاحب رقي الثقافة؛ التمايز يجب ألا يحول دون اتصال الطوائف بعضها ببعض، ليكون في ثقافة المجتمع ككل، ذلك الانسجام الذي يجعل لها وحدة؛ الثقافة تتوارث، أي تنقل من جيل إلى جيل.

يناقش إليوت الآراء التي طرحها



في الفصل المخصص للثقافة والسياسة يدرس إليوت فكرتين: الأولى، العلاقة بين الصفوة السياسية والصفوات الأخرى؛ والثانية، تأثير الاستعمار في ثقافة الشعوب المستعمرة. لا يدين المخاطر الثقافية الناجمة عن المحاولات الحديثة التي عمل عليها المستعمرون في سبيل محو الثقافات الوطنية. يتخذ تحليله مساراً تقيظياً للثقافة المستعمرة، فيقول: «الإشارة إلى الضرر الذي أصاب الثقافات الوطنية في أثناء التوسع الاستعماري ليس إذانة الاستعمار نفسه بحال، كما يجب دعاة تفكك الاستعمار أن يستنجوا. بل إن أعداء الاستعمار هؤلاء أنفسهم هم في معظم الأحيان أكثر المؤمنون بتفوق المدنية الغربية اطمئناناً في إيمانهم بوصفهم أحراراً، وهم يجمعون في وقت واحد بين العمى عن فوائده الحكم الاستعماري والعمى عن ضرر تحطيم الثقافة الوطنية».

ثمة نقطة أساسية يتميز بها الكتاب، تتمثل في معالجه فكرة الوحدة والتعدد في الأنماط الثقافية؛ فالقيمة المطلقة عند إليوت هي أن كل منطقة يجب أن تتمتع بثقافتها المميزة المسجمة مع ثقافات المناطق المجاورة وتخريبها. هنا يستخدم مصطلح «الثقافة التي تدور في فلك ثقافة أخرى» دون أن يؤدي ذلك إلى التلاشي والذوبان وغياب الهوية الثقافية للدلالة على أن الثقافات ترتبط بعلاقات في ما بينها تعود لأسباب جغرافية وغير جغرافية وإلى تأثر الأمة ذات الثقافة الأضعف في الثقافات الأقوى. برغم بعض الثغر ونقاط الضعف في «ملاحظات نحو تعريف الثقافة»، التي تجاوزتها الدراسات الحديثة تحديداً ما يتعلق بعوامل نمو الثقافة وتدهورها، استطاع الكتاب أن يجعلنا على تعريفات مهمة لعلاقة الثقافة بثلاثية الدين والسياسة والصفوة.

على مؤسس علم اجتماع المعرفة بعض النقاط ويساجله فيها، ولا سيما قوله: «إن العمليات الاجتماعية الأساسية التي كانت في ما مضى مشجعة لنمو الصفوات الخالقة للثقافة، أصبحت لها الآن نتيجة عكسية، أي إنها أصبحت عقبات في سبيل تكوين الصفوات، لأن قطاعات أكبر من السكات تقوم بدور إيجابي في المناشط الثقافية». في الخلاصة، ينبغي أن يقوم مجموع السكان بدور إيجابي في المناشط الثقافية دون اشتراك الجميع في المناشط نفسها أو على المستوى نفسه.

يخرج إليوت الذي اعتنق الكاثوليكية بعد تخليه عن البروتستانتية الأميركية بجملة من الملاحظات، وخصوصاً حين يكثف تحليله حول العلاقة بين الدين والثقافة في سياقها المسيحي - الأوروبي. يقع في بعض المغالطات حين يذعن للارتباط العميق بين الثقافة والدين بأسلوب يكاد يحو الفرق بينهما.

عالم الاجتماع الألماني كارل مانهايم (1893_1947) في كتابه «الإنسان والمجتمع في عصر يُعاد بناؤه» (1935)، مؤكداً أن أفكاره عن جماعات الصفوة تستحق أقصى الاهتمام. أقام مانهايم تمييزاً بين أنماط عدة من الصفوات: النمط السياسي، والمنظم، والمفكر، والفنان، والأخلاقي، والديني.

يناقش الآراء التي طرحها عالم الاجتماع الألماني كارل مانهايم

وفيما ترمي الصفوات السياسية والمنظمة إلى تكامل عدد كبير من الإرادات الفردية، تتسامى وظيفية الصفوات المفكرة والفنانة والأخلاقية والدينية بتلك الطاقات الروحية التي لا يستنفدها المجتمع في الصراع اليومي من أجل البقاء. برغم الأهمية التي يعطيها إليوت لهذه الاستنتاجات وغيرها، إلا أنه يسجل

لمحات

◀ بعد صدور الأجزاء الستة الأولى من «الأعمال الشعرية الكاملة» (الساقى) لأدونيس، جاء أخيراً «الجزء السابع 2008». وضم هذا الجزء ديوانين شعريين: «وزاق يبيع كتب النجوم» و«أهدأ، هاملت تنشق جنون أوفيليا»، على أن تليها ثلاثة أجزاء أخرى من «الأعمال الشعرية الكاملة» ستضمّ أجدد ما كتبه الشاعر. وبعدها نشرت «الساقى» الطبعة الثالثة من كتابه المرجعي «فاتحة لنهايات القرن» أخيراً. أصبح ديوان مهيار الجديد «زوكالو» متوافراً اليوم.

◀ «سجينة الضمير» (الدار العربية للعلوم ناشرون) هو عنوان الرواية الجديدة لجامع أجيولا. في مؤلفه الجديد، يعالج الكاتب المولود في نيجيريا تعقيدات الحب والزواج بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي، من خلال ماري التي تقع في حب إسحاق الشاب المسلم. لكن هذه العلاقة ستقلب رأساً على عقب، حين يموت والد ماري بعدما هربت مع حبيبها. هكذا تسافر مع والدتها إلى الولايات المتحدة، ويبقى إسحاق في لبنان، حيث يعيش صعوبات الحرب الأهلية اللبنانية، متسلحاً بأمله للقاء ماري مجدداً. يحمل الكتاب صبغة تاريخية عن تاريخ أميركا، ولبنان خلال حربه الأهلية، لكن هل يلتقي إسحاق ماري مجدداً وقد بات اللقاء مستحيلًا؟

مهرجانات قلحات 2014

... و ليس غداً
لزياد الرحباني

للحجز: 93 17 17-79

21 آب

المكان: النادي الثقافي الرياضي قلحات - الكورة

METRO يقدم

هيشك بيشك شو

سنة من الفرقة ومستمر

Hishik Bishik Show in Metro al Madina
Hamra Street, Sarolla Bldg, minus 2
Doors open at 9.30 p.m.
Show starts at 10 p.m.

هشك بيشك شو في مترو المدينة
الحمراء، بناية السارولا، الطابق 2-
تفتح الأبواب الساعة 9.30 مساءً
يبدأ العرض الساعة 10 مساءً